Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذن ، الأخذ مشروع بشهادة النقاد والبلاغيين بل هو الشائع ، لكنه محكوم بقواعد أجملها أبو هلال العسكرى فى قوله : « ... سمعت ما قيل إن من أخذ معنى بلفظه كان له سارقاً ، ومن أخذه ببعض لفظه كان أولى به ممن تقدمه ، وقالوا إن أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه ومن أخذ معنى بلفظه فليس له فيه نصيب على أن ابتكار الغبى والسبق إليه .

فالمعنى الجيد جيد وإن كان مسبوقاً إليه ، والوسط وسط والردىء ردىء ، وإن لم يكن مسبوقاً إليه ، وقد أطلق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى بينهم فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده ، وقصّر فيه عمن تقدمه ، وربما أخذ الشاعر القول المشهور ولم يبال فيحكم له بالسبق إليه أكثر من يمر به »(٥٨) .

فالاتباع ـــ إذن ـــ سنة محمودة ، وكأنهم بذلك يشددون على اتباع قاعدة أصولية سبق انتصار الاتجاه السنى لها ، وكل ما فى الأمر ـــ عند النقاد ـــ أن على المتّبع أن « يحسن اتباعه بحيث يستحقه ويحكم له به دون الأول » قال ابن أبى الإصبع : « هذا الباب مما يخص كلام المخلوقين ، وما أخذ بعضهم من بعض »(٥٩) . وقال ابن الأثير الجزرى « حقيقة هذا الباب أن يأتى المتكلم إلى معنى فيحسن اتباعه فيه ويجيد فيه إما باختصار لطيف ، أو زيادة مليحة تكسبه نوعاً من المحاسن »(٦٠) .

ولكن الاتباع الذى كان ديدن النقاد والبلاغيين حتى وإن زينه الحسن بإظهار بعض من الحرية الشخصية للشاعر . لم يرق للشعراء أنفسهم ، وهم بصدد الإبداع والتفرد الشخصى . « لما قال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

(٥٨) السابق ص ١٩٠ ـــ ص ١٩١ وراجع : الموشح ص ٢٩٣ ، وتاريخ النقد عند العرب ص ١٧٢ ـــ ص ١٧٣ .

(٥٩) معجم البلاغة العربية ط (٣) ص ١٦٦ .

(٦٠) جوهر الكنز ص ١٦٠ .